موسى عليه السلام يرحل لطلب العلم

اختلف ابن عباس رضي الله عنهما هو والحُرُّ بن قيس الفزاري في صاحب موسى عليه السلام من هو؟ فقال ابن عباس: هو خَضِر. فمر بهما أُبيُّ بن كعب فدعاه ابن عباس، فقال: إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لُقيِّه؛ هل سمعت النبي ﷺ يذكر شأنه؟ قال: نعم سمعت النبي ﷺ يقول: «**بينما موسى في ملأٍ من بني إسرائيل جاءه رجل فقال: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال موسى: لا. فأوحىٰ الله إلى موسى: بل عبدنا الخضر، فسأل موسى السبيل إليه فجعل الله له الحوت آية. وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه. وكان يتبع أثر الحوت في البحر. فقال لموسى فتاه: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ فوجدا خضراً فكان من شأنهما الذي قصَّ الله عز وجل في كتابه**».

قال الحافظ ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث: هذا الباب معقود للترغيب في احتمال المشقة في طلب العلم لأن ما يغتبط به تحمل المشقة فيه، ولأن موسى عليه الصلاة والسلام لم يمنعه بلوغُهُ من السيادة المحلَّ الأعلىٰ من طلب العلم وركوب البر والبحر لأجله؛ وفي الحديث ركوب البحر في طلب العلم بل في طلب الاستكثار منه، ومشروعية حمل الزاد في السفر، ولزوم التواضع في كل حال، وخضوع الكبير لمن يتعلَّم منه،

ولهذا حرص موسى على الالتقاء بالخضر عليهما السلام وطلب التعلم منه، تعليماً لقومه أن يتأدبوا بأدبه، وتنبيهاً لمن زكَّىٰ نفسه أن يسلك مسلك التواضع، وفيه فضل الازدياد من العلم ولو مع المشقة والنصب بالسفر.

وقال الحافظ الخطيب البغدادي في «الرحلة في طلب الحديث» عقب هذا الحديث: قال بعض أهل العلم: إن فيما عاناه موسىٰ من الدأب والسفر، وصبر عليه من التواضع والخضوع للخضر بعد معاناة قصده مع محلِّ موسى من الله عز وجل، وموضعه من كرامته وشرف نُبُوَّتِه دلالة على ارتفاع قدر العلم وعلوِّ منزلة أهله، وحُسن التواضع لمن يُلتمس منه ويؤخذ عنه؛ ولو ارتفع عن التواضع لمخلوق أحد، بارتفاع درجة سُموِّ منزلة، لَسَبَقَ إلى ذلك موسى. فلما أظهر الجِدَّ والاجتهاد والانزعاج عن الوطن والحرص على الاستفادة منه، مع الاعتراف بالحاجة إلى أن يصل من العلم إلى ماهو غائب عنه دلَّ على أنه ليس في الخلق من يعلو على هذه الحالِ ولا يكبر عنها.

آيات للتدبر والتفكر

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ ﴾

[سورة الأنعام]

من أخبار المسافرين (١٧)

البغدادي وعقد اللؤلؤ

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي - رحمه الله تعالى - في كتابه «ذيل طبقات الحنابلة» في ترجمة (القاضي أبي بكر محمد بن عبدالباقي البغدادي الأنصاري البزَّاز) المعروف بقاضي المارستان، الحافظ المعمَّر، المولود سنة ٤٤٢هـ، والمتوفى سنة ٥٣٥هـ ببغداد رحمه الله تعالى: «قال الشيخ الصالح أبوالقاسم الخَزَّاز الصوفي البغدادي: سَمِعتُ القاضي أبابكر محمد بن عبدالباقي بن محمد البزَّاز الأنصاري يقول:

كنت مُجاوراً بمكة حَرَسها الله تعالى، فأصابني يوماً من الأيام جوعٌ شديد، لم أجد شيئاً أدفع به عني الجوع، فوجدتُ كيساً من إبريسَم مشدوداً بشُرَّابةٍ من إبريسَم أيضاً، فأخذتُه وجئتُ به إلى بيتي، فحللتُهِ فوجدت فيه عِقْداً من لؤلُؤ لم أرَ مِثلَه.

فخرجتُ فإذا بشيخٍ يُنادي عليه، ومعه خِرقة فيها خمسمائة دينار، وهو يقول: هذا لمن يَرُدُّ علينا الكيسَ الذي فيه اللؤلؤ، فقلتُ: أنا محتاجٌ، وأنا جائع، فآخُذُ هذا الذهب فأنتفعُ به، وأرُدُّ عليه الكيس.

فقلت له: تَعالَ إليَّ، فأخذته، وجئتُ به إلى بيتي، فأعطاني علاَمَةَ الكيس، وعَلاَمَة الشُّرَّابة، وعلاَمَة اللؤلؤ، وعَدَدَهُ، والخيْطَ الذي هو مشدودٌ به، فأخرجتُهُ ودفعتُه إليه، فسلَّم إليَّ خمسمائة دينار، فما أخذتُها، وقلتُ: يجبُ عليَّ أن أُعيدَهُ إليك، ولا آخُذَ له جزاءً، فقال لي: لابُدَّ أن تأخُذَ وألحَّ عليَّ كثيراً، فلم أقبَلْ ذلك منه، فتركني ومَضَى.

وأما ما كان مني، فإني خرجتُ من مكة وركبتُ البحر، فانكسر

المركبُ وغَرِقَ الناسُ، وهلكَتْ أموالُهم، وسَلِمتُ أنا على قطعةٍ من المركب، فبقيتُ مُدَّةً في البحر لا أدري أين أذهب؟! فَوَصَلْتُ إلى جزيرة فيها قوم، فقعدتُ في بعض المساجد، فسَمِعُوني أقرأ، فلم يَبق في تلك الجزيرة أحدٌ إلاَّ جاء إليَّ وقال: علِّمني القرآن، فحصَلَ لي من أولئك القوم شيءٌ كثير من المال.

ثم إني رأيتُ في ذلك المسجد أوراقاً من مصحف، فأخذتُها أقرأ فيها، فقالوا لي: تُحسِنُ تكتب؟ فقلت: نعم، فقالوا: علِّمنا الخط، فجاؤوا بأولادهم من الصبيان والشباب فكنت أُعلِّمُهم، فحَصَل لي أيضاً من ذلك شيء كثير، فقالوا لي بعد ذلك: عندنا صَبِيَّةٌ يتيمة، ولها شيءٌ من الدنيا، نريد أن تتزوَّج بها، فامتنعتُ، فقالوا: لابُدَّ، وألزموني فأجبتُهم إلى ذلك.

فلما زَفُّوها إليَّ مَدَدْتُ عيني أنظر إليها، فوجدتُ ذلك العِقْدَ بعينه معلَّقاً في عُنُقِها، فما كان لي حينئذٍ شُغلٌ إلاَّ النَّظَرُ إليه، فقالوا: يا شيخ! كَسَرْتَ قَلْبَ هذه اليتيمة من نظرِك إلى هذا العِقد، ولم تنظر إليها، فقَصَصتُ عليهم قصَّةَ العِقد، فصاحوا وصرَّخوا بالتهليل والتكبير، حتى بلَغَ إلى جميع أهل الجزيرة، فقلتُ: ما بكم؟ فقالوا: ذلك الشيخُ الذي أخَذَ منك العِقدَ أبو هذه الصَّبيَّة، وكان يقول: ماوَجَدْتُ في الدنيا مُسْلِماً كهذا الذي رَدَّ عليَّ هذا العقدَ، وكان يدعو ويقولُ: اللهمَّ اجمَعْ بيني وبينه حتى أُزوِّجَه بابنتي، والآن قد حَصَلَتْ، فبَقِيتُ معها مدة، ورُزِقتُ منها وَلَدَيْن.

ثم إنها ماتت فورِثْتُ العِقدَ أنا ووَلَدَاي، ثم مات الوَلَدانِ، فحصَلَ العِقدُ لي، فبعتُه بمئة ألف دينار، وهذا المالُ الذي تَرَوْنَه معي من بقايا ذلك المال».

المسافر والنهار

النهار آية من آيات الله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الإسراء: ١٢]. ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت: ٣٧]. والمؤمن يأخذ العبرة من اختلاف الليل والنهار ﴿ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [يونس: ٦]. ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

والمؤمن يعمر النهار بالبذل والعمل والتضحية والدعوة إلى الله والجهاد في سبيله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الفرقان]. وإذا كان الليل مجالاً لحركة العواطف والمشاعر فإن النهار ميدانٌ لحركة الجسم والجوارح، وإذا كان الليل زمناً للسكون والهدوء والخشوع، والدموع، فإن النهار وقتٌ للبذل والكدح والتعب والنصب ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ ﴾ [النبأ].

السعي في طلب الرزق في النهار، والجري وراء المصالح في النهار، والجهاد في سبيل الله في النهار، وهموم الحياة كلها غالباً ماتكون في النهار. بل إن الأمر أبعد من ذلك، فإن سمة التعب والنصب والكدح والخوف ملازمة للنهار حتى في الحياة الآخرة، فإن أشق كرب يمر بالإنسان، وأعظم خطر يحدق بالعبد وأطول وقت يتعرض له المرء هو

يوم القيامة ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ ﴾ [المعارج: ٤] ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [عبس: ٣٤ـ٣٧].

obeikandl.com